أثر الإيمان في الارتقاء بالعلوم التطبيقية

الباحث: دينا بنت محيي الدين بن عبد الحميد
قسم: الشريعة والدراسات الإسلامية

المستخلص:

يستعرض البحث أثر الإيمان بالله عزوجل في الارتقاء بالعلوم التطبيقية، وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحثين، فالتمهيد تحدثت فيه عن تعريف الأيمان بالله وتعريف العلوم التطبيقية، وقد اقتصرت على مثال واحد: وهو علم الطب ، والمبحث الأول استعرضت فيه علاقة الإيمان بالعلوم التطبيقية، من خلال الكتاب والسنة، واللذين حثا على التفكر والتأمل للوصول إلى حقيقة الإيمان بالله وهو التوحيد ، أما المبحث الثاني فكان يلقي الضوء على الآثار الإيمانية للارتقاء بالعلوم التطبيقية سواء على علماء المناهج أو المناهج ذاتها، كما أضفت الآثار الإيمانية التي تترتب على الفرد والمجتمع من خلال التمسك بالإيمان

المقدمة

بعث الله ﷻ الأنبياء للناس كافة ليخرجوهم من الظلمات إلى النور بفضله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ ابراهيم [٥] (١)

وبعث الله ﷻ نبيّنا محمد ﷺ لنفس الغاية والهدف، فقد كان العرب في الجاهلية يعيشون في ظلام مطبق، لا تتعدى اهتماماتهم الملذّات الحسّية المادّية، فجاء الإسلام وحثّ على الاهتمام بالنفس الإنسانية بكافة جوانبها الحسّية، والروحية، والعقلية.

وكان لاستقرار الجانب العقلي والروحي عند المسلم دوراً كبيراً في تحقيق التطور المادي المحسوس، والذي ظهر في صرف جهود المسلمين في الارتقاء بالجانب المادي، الذي برَز في الانجازات العلمية والعملية. وهناك الكثير من الفلسفات التي

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم: (٥).

ظهرت في العالم الإسلامي؛ حركات تناهض الدين وتحاربه، وتدعي أن الدين يعطّل الحركة العلمية والعملية، وأنه مصدر للجمود والتخلف، وفي هذا البحث نبيّن أن التطور العلمي والعملي في الواقع الإسلامي لم يكن إلا نتاج الاتحاد البنّاء بين الدين والعلم.

أولاً: تعريف الإيمان بالله

الإيمان: "هو الاعتقاد والقول والعمل، وتمامه: موافقة السنة" (١).

وقال الأوزاعي – : "لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة" (٢)

إذن تعريف الإيمان يرتكز على أربعة أركان: الاعتقاد بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة؛ وينقص بالمعصية، وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بخلاف غيرهم (٣) وقد فرّق الله ﷻ بين الإسلام والإيمان، فهذا دليل على أنهما غير مترادفان، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة؛ من صلاة، وصيام، وقد يشترك فيه المسلم والمنافق، وهو الذي يعصم الدم والمال، أما الإيمان فهو التصديق الباطن، من أعمال القلوب كالإيمان بالله ﷻ وملائكته، وكتبه ونحوها، وهو الذي يفرّق بين المسلم والمؤمن، فالإيمان أعلى مرتبة من الإسلام، لذا فرّق الله ﷻ بين الإسلام والإيمان (٤) والإيمان بالله يقتضي الإيمان بعدة أركان(٥) فأركان الإيمان ستة، وهي: الإيمان بالله ﷻ ويقتضي ذلك: الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن: أبو محمد مكي القيسي (٢٧١٧/٤).
(٢) الإيمان: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٢٣١/١)؛ مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (١٥١/٣).
(٣) انظر: الرد على الشاذلي في حزبيه: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٢٠٨/١).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/٧).
(٥) عن أبي هريرة ﵁ ، رواه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن-باب قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ [سورة لقمان: الآية رقم: ٣٤] (١١٥/٦ ح٤٧٧٧). لحديث النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ) قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: (الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ)، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: (الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...)

ثانياً: التعريف بالعلوم التطبيقية:

العلوم التطبيقية: "يطلق هذا الاصطلاح على العلوم التي تطبق قوانين العلم النظري لبلوغ غايات عملية معينة، كعلم الكهرباء الصناعية، وعلم الاقتصاد الزراعي، فهما علمان فرعيان يطبقان قوانين العلوم النظرية المقابلة لهما" (١)

فالعلوم التطبيقية مثل: علم الفلك، وعلم الهندسة، وعلم الحساب، وعلم الكيمياء، وعلم التاريخ الطبيعي، وعلم الطب، وغيرها من العلوم التطبيقية، وقد ساهم المسلمون في هذه العلوم بدور كبير؛ لأن الدين الإسلامي يحثّ الإنسان على التفكر والتدبر في عالم الكون والشهادة، وقد برزت انتاجات المسلمين في هذا العلم، وسطعت أضواءهم (٢)

علم الطب:

اهتّم العرب قديماً بالطب، وبعد الإسلام زاد اهتمامهم بالطب، وقد ألّف المسلمون كتباً في علم الطب، ومنهم من اشتهر بحذاقته، ناهيك عن المسلمات اللاوتي كُن خير مداويات لجرحى المسلمين في الغزوات الإسلامية، ومنهن: رفيدة بنت سعد الأسلمية (٣) ،والشفاء بنت عبد الله (٤) ، وأم عطية الأنصارية (٥) ، ومن أبرز مؤلفات المسلمين في الطب، كتاب "الطب النبوي " لابن قيم الجوزية، وكتاب "المنهل السوي في الطب النبوي" لجلال الدين السيوطي، وقد زاد اهتمام المسلمين بالطب في العصر الأموي، وشجع الخلفاء الأطباء باستقطابهم إلى دمشق، وأغدقوا عليهم

---

(١) المعجم الفلسفي: جميل صليبا (١٠١/٢).
(٢) انظر: فتاوى الشبكة الإسلامية: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية (١٤٦٧/٧).
(٣) هي: رفيدة الأنصارية، أو الأسلمية وكانت امرأة تداوي الجرحى. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بين حجر العسقلاني (١٣٦/٨).
(٤) هي: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن عدي بن كعب القرشية العدوية، أسلمت بمكة قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول، وكان رسول الله ﷺ يأتيها فيقيل عندها، واتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه، فلم يزل عند ولدها حتى أخذه منهم مروان بن الحكم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بين حجر العسقلاني (٢٠١/٨).
(٥) هي: نسبية بنت الحارث، كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكانت تغزو كثيرًا مع رسول اللهِ ﷺ، تمرض المرضى، وتداوي الجرحى. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله القرطبي (٤/ ١٩٤٧).

الأموال لترجمة الكتب المؤلَفة في الطب خاصة كتب: أبقراط، وجالينوس، وقد تم الاستفادة منها وتطويرها [١]

كما اهتم المسلمين بإنشاء المستشفيات ومن أبرزهم خلفاء الدولة العباسية، كهارون الرشيد؛ الذي أنشأ بيمارستاناً –مستشفىً– كبيراً في بغداد لتعلم الطب والعلاج، وأُنشئت أول نقابة طبية لإصدار تراخيص مزاولة الطب في القرن الرابع الهجري.

صورة من دور أوائل المسلمين في علم الطب (٢):

١– استطاع الرازي [٣] ، أن يفرق بين الأعراض المتشابهة لبعض الأمراض مثل: ألم القولون، وألم الكلى، والتفريق بين الجُدري والحصْبة.

٢– اكتشف ابن النفيس [٤] ، الدورة الدموية الصغرى قبل أوروبا بثلاثة قرون.

٣– معرفة تركيب جسم الإنسان، وأجهزته وطبيعة المعدة وأمراضها، وديدان الأمعاء وغيرها.

٤– معرفة بعلم جراحة الأعضاء كالدماغ، والخُراجات، وغيرها، وكتاب الحاوي للرازي فيه تفصيل رائع.

٥– اهتمامهم بأمراض العيون، من خلال تشريح عيون الحيوانات كما فعل الطبيب عمار بن علي الموصلي [٥]

٦– علاج كسور الأنف، والفك، والرقبة، وغيرها من خلال تشريح جثث الموتى.

(١) انظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (١٧٦/١)؛ أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين (٢٠٨/١).
(٢) انظر: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين (٢٠٨/١)؛ الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (١٧٧/١).
(٣) هو: محمد بن زكريّا الرّازيّ، الطبيب، أبو بَكْر، المتوفى: ٣١١ هـ، صاحب كتاب الحاوي في الطب. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: الذهبي (٢٤٧/٧).
(٤) هو: علاء الدّين ابن النّفيس القُرَشيّ، الدّمشقيّ، الطبيب، المتوفى: ٦٨٧ هـ، شيخ الأطبّاء فِي عصره. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٥٩٧/١٥).
(٥) هو: عمار بن علي الموصلي كان كحالاً مشهوراً ومعالجاً مذكوراً، له خبرة بمداواة أمراض العين، سافر إلى مصر وأقام بها، وكان في أيام الحاكم، ولعمار بن علي من الكتب: كتاب المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد ألفه للحاكم. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: أحمد ابن أبي أصيبعة (٥٤٩/١).

٧- الطبيب الزهراوي [١] ، شرح كيفية خلع الأسنان بجذورها، ووصف أدوات علاج الأسنان.

٨- عالجوا أمراض النساء كاحتباس الدورة الشهرية، وغيرها.

ولا يعني الاقتصار على هذا النوع أن المسلمين لم يبرعوا في باقي العلوم التطبيقية، فقد برع المسلمون في شتى العلوم، ومنها التطبيقية: كالخوارزمي في علم الرياضيات، والادريسي في علم الجغرافيا، والحسن بن الهيثم في علم الفيزياء، وجابر بن حيّان في علم الكيمياء، وأبو بكر الرازي في علم المعادن، وغيرهم كثير [٢]

المبحث الأول: الإيمان والعلم في الشريعة الإسلامية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان والعلم التطبيقي في القرآن الكريم والسنة والمطهرة:

الاهتمام بطلب العلم الشرعي مقصد من مقاصد الدين الإسلامي، وركن أصيل في تحقيق الإيمان، وقد حثّ الشرع الحكيم على ذلك في كثير من مواطن القرآن الكريم، ومنها على سبيل القصر لا الحصر: دعوة القرآن الكريم للتفكر والتدبر في الكون، ليزيد الذين آمنوا إيماناً؛ (قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) [٣] العلم المقصود في القرآن الكريم؛ هو العلم الشرعي الذي يتضمن الإيمان برسالة التوحيد، فالله ﷻ أنزل القرآن الكريم؛ ليكون هدىً ونور يقتدي به الربّانيون وعباد الله المخلصين، فالقرآن الكريم كتاب دين وتشريع، وفيه من الإعجاز الكثير من الآيات البيّنات، فيتضمن الإعجاز البياني، والعلمي وغيره، ولا يعني هذا أن القرآن الكريم كتاب لتفسير الظواهر العلمية، والمكتشفات الحديثة، بمعنى ألّا يتم فرض النظريات العلمية على القرآن الكريم،

(١) هو: خلف بن عباس، أبو القاسم الزهراوي الأندلسي، الوفاة: ٤٠١ - ٤١٠ هـ، اشتهر بالطب، وله فيه كتاب كبير مشهور كبير الفائدة، سماه كتاب " التصريف لمن عجز عَنْ التأليف ". انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٩٤/٩).

(٢) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (١٧٠/١:١٨٣).

(٣) سورة العنكبوت: الآية رقم: (٢٠).

وتحميل النصوص الشرعية ما لا تحتمل لفظاً ومعنىً؛ لوجود الفروق بين القرآن الكريم والنظريات العلمية، منها:

١-القرآن الكريم صنعة إلهية ربّانية، والنظريات العلمية صنعة بشرية.

٢-القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والنظريات العلمية تجريبية محط الخطأ والتعديل، فالإيمان بالقرآن الكريم يقتضي الاعتقاد الجازم بأن العلم الحقيقي والدين لا يتعارضان، والنظريات العلمية نسبية.

٣-جميع الإشارات العلمية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم؛ أثبت العلم الصحيح أنها حقائق لا غبار عليها، وهذا ما سيتضح من خلال البحث.

كما ينبغي على المسلمين الحذر من هذه التأويلات العلمية، وألّا ينساق الباحثين وراء هذا المنهج دائماً؛ لأن فيه تقوّل بمعرفة مراد الشارع الحكيم من هذه التأويلات الحديثة [1].

بالإضافة إلى السنة النبوية الشريفة فهي وحي من الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم [٢-٤] [2]، وهذا دليل على حجية السنة [3]. وما ورد في السنة النبوية الشريفة من إشارات علمية، فهي حق، لأن النقل الصحيح لا يعارض العلم الصحيح، والسنة النبوية حثّت على العلم وطلبه [4]

وقد حثّ النبي ﷺصحابته الكرام بتعلم لغات غير اللغة العربية، ومنهم زيد بن ثابت رضي الله عنه، الذي أمره النبي ﷺ بتعلم لغة اليهود، لأنه لا يأمن مكر اليهود، فتعلمها زيد بن ثابت رضي الله عنه في نصف شهر، فكان إذا كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى اليهود أمَر زيد

---

(١) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: راشد بن شهوان (صفحة: ٦٩)
(٢) سورة النجم: الآية رقم: (٤:٢).
(٣) تفسير القرطبي (٨٥/١٧).
(٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، رواه ابن ماجة في سننه: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١ ح٢٢٣).

بن ثابت رضي الله عنه أن يترجمه له، والعكس أيضاً [1]، وكان الصحابة يقدمون زيد بن ثابت رضي الله عنه في المواريث والقضاء؛ لحذْقه وبراعته فيها، فقد كان رضي الله عنه ذا عقلية رياضية فذّة[2] وهذا فيه دلالة على اهتمام المسلمين بالعلوم التطبيقية –ومنها الترجمة– إذا كانت تخدم الدين الإسلامي بوجه خاص، أو تنفع البشرية بوجه عام.

إلا أن حركة الترجمة التي قام بها الخليفة المأمون، ساعدت المسلمين بالتعرف والاحتكاك بالحضارات الغربية، والتي كانت تعيش في ظلام مطبق، فانفتح المسلمون على كثير من العلوم، واستفادوا الكثير من الكتب المترجمة، حتى أصبح المسلمون روّاد العلوم التجريبية في ذلك الوقت، حيث كان الغرب غارقاً في العلوم الفلسفية، والتي سرعان ما هجروها عند الاحتكاك بالمسلمين؛ لقناعتهم بأنها علوم لا جدوى فيها، وأن العلم التجريبي هو السلاح الحقيقي للحضارة.

المطلب الثاني: العلاقة بين الإيمان والعلم التطبيقي.

الإيمان بالعلوم التطبيقية يزيد من إيمان العبد، ويقوي العلاقة بين العبد وربه، فتزيد الآيات والمعجزات المؤمن إيماناً ويقيناً، وتزيد الظالمين شكاً وتكذيباً؛ (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ) [3]، قال مجاهد – : " الأمثال كلها، صغيرها وكبيرها، يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهديهم الله بها" [4]، وقد اكتشف الطب الحديث أن التعبير القرآني أكّد وجود كائنات صغيرة فوق جسم البعوض، وهذه الكائنات تفترس البعوضة وتقتلها، وبعضها يتغذى على البعوضة ولا تتركها إل بعد أن تقتلها؛ عن طريق مصّ دمها أو التغذية على مناطق اتصال

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل: عبد الحليم عويس(صفحة:١١٥).
(٢) انظر: الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل (صفحة:١١٧)
(٣) سورة البقرة: الآية رقم: (٢٦).
(٤) تفسير مجاهد: مجاهد المخزومي. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل (١٩٨/١).

الجناح بالصدر فيكسر الجناح، وبذلك لا تستطيع البعوضة الحصول على غذائها فتموت [١].

فالمؤمن بالله ﷻ لا يبحث عن المبررات العلمية، فيؤمن بما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه يعلم أنه الحق من ربه، وما استحدثه العلم الحديث من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة إنما هو زيادة إيمان وتثبيت للمؤمنين، وزيادة كفر وارتياب للكافرين إلا من رحم الله.

المبحث الثاني: الآثار الإيمانية للارتقاء بالعلوم التطبيقية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الإيمان على علماء المنهج التجريبي.

التجربة: " هي أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة، في شروط معينة، بهيئتها بنفسه، ويتصرف فيها بإرادته. ففي كل تجربة ملاحظة، إلا أن الفرق الوحيد بينهما هو أن الملاحظ يشاهد الظاهرة كما هي عليه في الطبيعة، في حين أن المجرّب يشاهدها في ظروف يهيئها بنفسه. وغايته من ذلك الوصول الى قانون يعلل به حوادث الطبيعة" [٢].

أما العلم التجريبي: فهو العلم الذي يعتمد على التجربة لا الملاحظة، فالطب السريري يعتمد على الملاحظة، أما الطب التجريبي فيعتمد على التجربة [٣].

من يتأمل الآيات القرآنية يستنتج أن العلم التجريبي نال مساحة كبيرة في التصور الإسلامي، فقد ذكر الله ﷻالكثير من الظواهر للعلوم التجريبية؛ كالمطر، والنبات، والرعد، والبخار وغيرها، حتى استقرأ بعض العلماء آيات القرآن الكريم، فأحصى منها خمساً وسبعمائة آية موضوعها تجريبي، والتي ترتبط بالإيمان والدعوة إلى البحث والتفكر والتأمل في مخلوقات الله تعالى[٤].وقد أكّد الرسول ﷺ على أهمية العلم

---

(١) انظر: المؤتمر العلمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: مصطفى إبراهيم حسن (صفحة: ٥٥)
(٢) المعجم الفلسفي (٢٤٣/١)
(٣) انظر: المصدر السابق(٢٤٤/١).
(٤) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٢٧).

التجريبي فقال: (مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ) [١]، وأن العلم منه ما هو كسبي يحتاج طلب ودُربة، وهو العلم التجريبي؛ كالطب وغيره [٢].

ومن أهم الأثار الإيمانية على علماء المنهج التجريبي [٣]:

–تثبيت المؤمنين في زمن كثُر فيه الشك والإلحاد.

–إسلام الكثير من خواصّ العلماء، خاصة في مجال الطب، وعلوم الفلك، وغيرها، يقول الدكتور نادي درويش [٤]: " وهؤلاء الذين دخلوا في الإسلام بسبب الإعجاز العلمي...الذي أثّر فيهم عقدياً مع أنهم من خواص الخواص في مجال العلم التجريبي؛ ما لمسوه من صدق الإشارات التي تحملها بعض آيات القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ، والتي سبقت العلم التقني المعاصر، مما يُثبت صدق النبوة لرسول الله ﷺ" [٥].

–تحرير الفكر البشري من الخرافات، فقد انتشر السحر والكهانة، والكثير من الخرافات، فلما نزل القرآن الكريم حرّر العقول من الجهل والضلال، وأنار لهم عقولهم، وعلّم الناس أن العلم منه ما هو نافع ومنه ما هو ضارّ، والسحر والكهانة من النوع الثاني، فحرّم الله ﷻ السحر؛ لأنه نوع من التلبيس على العقول.

–توجيه العقول لمعرفة آفاق الكون، والأخذ بهذه المنهجية تُضيف للعقل البشري التوجه الصحيح لحدود التفكير الإنساني، بالشواهد الحسيّة في الكون؛ لإدراك قوانين الله ﷻ وحكمته في الحياة.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود ﷺ، رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة-مسند عبد الله بن مسعود ٪ (٣٨/٧ ح٣٩٢٢).
(٢) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٢٩).
(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية: د.نادي بن درويش محمد. (ص١٥٢)؛ الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٣٨).
(٤) هو: نادي بن درويش بن محمد، مواليد محافظة بني سويف بمصر، ولد عام: ١٩٤٩م، حاصل على الدكتوراه من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، يعمل إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف بالكويت. انظر: غلاف كتاب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية لنفس المؤلف.
(٥) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص١٢٩).

-الربط بين الآيات الكونية، بالمقدمات والنتائج والأسباب، ومنها أن الإسلام ينشد العلم القائم على الدليل لا على التصورات العقلية، واستعمال الحواس للوصول إلى الحقيقية، لذا يمكننا القول: " أن هذه الدعوة إلى استخدام العقل، والنظر، والشهادة، والسمع، والتجريب، والحُجّة، والبرهان، والدليل، هي التي انتهت بالمسلمين إلى الاتجاه التجريبي العام، وجعلت منهم آخر الأمر واضعي أساس العلم الحديث" (١).

المطلب الثاني: أثر الإيمان على المناهج التطبيقية.

المناهج: " المنهج او المنهاج هو الطريق الواضح، أو السبيل المستقيم (٢).

كرّم الله ﷻ بني آدم على باقي المخلوقات بالعقل، وجعله مناط التكليف والخطاب الشرعي، وذكر الله تعالى أن العقل البشري مهما أُوتي من قوة وقدرات بشرية، فإن علمه قليل محدود، فالله ﷻ خلق بنى آدام، ويعلم حدود عقولهم وإمكاناتهم، وأن العقل البشري مهما علم من العلوم المختلفة، فإنه سيقف عند أخرى.

مثال تطبيقي:

يتوجّه العلم الحديث إلى زراعة الخلايا الجذعية لعلاج الكثير من الأمراض؛ لأنها تساعد على إعادة بناء خلايا الدم، والجهاز المناعي للمرضى الصابين بأمراض الدم كاللوكيميا-سرطان الدم-والأنيميا، كما تستخدم لعلاج بعض أمراض الأعصاب؛ كالشلل الدماغي، والزهايمر، وغيرها، والتي يمكن الاحتفاظ بها من خلال بنوك صحية، لمدة تصل إلى ٢٥ عام، وهذه الخلايا ليس نافعة لصاحبها فقط، بل قد تساعد أشخاصاً غيره، فقد استُعمل بالفعل في علاجات مرضية، وكان بديلاً ناجحاً لعملية زراعة النخاع العظمي، كما يُعد بديلاً جيداً عن التبرع بالأعضاء؛ حيث يمكن إعادة بناء خلايا جديدة للمريض.

---

(١) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٥٢).
(٢) انظر: المعجم الفلسفي (٢/٤٣٥).

وهذه الخلايا الجذعية لها ثلاثة مصادر:

أ. الخلايا الجذعية التي تؤخذ من الأجنة البشرية ويتراوح عمر الجنين ما بين ٥ أيام إلى أسبوعين.

ب. الخلايا الجذعية التي تؤخذ من البالغين، وهي تؤخذ من جهتين:

الجهة الأولى: من النخاع العظمي، أي: من نفس العظم، مثل عظمة الحوض أو الصدر، والجهة الثانية: من الدم، وفي هذه الحالة ينبغي أخذ كميات كبيرة من الدم.

ج. المصدر الثالث والأخير وهو الأهم، الخلايا الجذعية التي تؤخذ من الحبل السري، وهو المصدر الغني بالخلايا، وقد يصل عددها إلى ٢٠٠ مليون خلية!.

ولأهمية هذه الاكتشافات الطبية، ولحاجة المرضى لمثل هذه العلاجات، تسارع ذوو النفوس الضعيفة من تجار الأرواح، القائلين: "أن الغاية تبرر الوسيلة"، إلى إدارة منظمات تُشجع على الإجهاض، وقتل الأجنّة؛ للحصول على الخلايا الجذعية من خلال الأجنة والحبل السّري! (١).

أما المنهج الإسلامي الرباني فحرّم قتل الأجنّة؛ خشية العيلة والفاقة، فكيف بمن يزهق الأرواح، ويدير المنظمات لذلك، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (٢)، وكفل الله ﷻ حق الحياة للأجنة في بطون أمهاتهم، وحرّم على الوالدين التعدي على حقه في الحياة.

فمنهج الإسلام لا يعارض الطب الحديث، أو المخترعات الجديدة، وإنما يوجه الإنسان للطريق الصحيح الذي لا يتعدى فيه الإنسان على نفسه، أو غيره كما قال ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) (٣).

(١) انظر: موقع الإسلام سؤال وجواب: مقال بعنوان: الخلايا الجذعية، تعريفها، وحكم إنشاء بنوك لها. تاريخ النشر: ٢٠٠٩/١٢/٥م. تاريخ الدخول: ٢٠١٩/٣/٢٤م. https://islamqa.info.

(٢) سورة الأنعام: الآية رقم: (١٥١).

(٣) عن عبد الله بن العباس ﵄، رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: مسند بني هاشم-مسند عبد الله بن العباس ؓ (٥/٥٥ ح ٢٨٦٥).

لذا جاء قرار مجلس المجمع الفقهي، المنعقد في دورة مؤتمره السادس، بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧ / ٢٣ شعبان ١٤١٠هـ ، الموافق ١٤ / ٢٠ مارس يقتضي عدة أمور منها: " إذا كان المصدر للحصول على الأنسجة هو خلايا حية من مخ جنين باكر – في الأسبوع العاشر أو الحادي عشر، فيختلف الحكم على النحو التالي... أخذها مباشرة من الجنين الإنساني في بطن أمه بفتح الرحم جراحيّاً ، وتستتبع هذه الطريقة إماتة الجنين بمجرد أخذ الخلايا من مخه ، ويحرم ذلك شرعاً إلا إذا كان بعد إجهاض طبيعي غير متعمد ، أو إجهاض مشروع لإنقاذ حياة الأم ، وتحقق موت الجنين ،...يجب على الدول جميعاً أن تحارب إجهاض الأجنة من أجل الحصول على أعضائهم وخلاياهم ، ولا يحل الاستفادة مما أخذ بطريق غير شرعي ، ولا المشاركة معهم في بنوكهم ، ويجب أن تتولى مؤسسات موثوقة في دينها هذا الأمر " (١) .

المطلب الثالث: أثر الإيمان في تطور العلم التطبيقي.

أولًا: الآثار الإيجابية في ارتقاء الإيمان بالعلوم التطبيقية.

–الامتثال لأمر الله ﷻ في تحقيق التدبر بالكون، ومخلوقاته، والتي تتجلّى فيها عظمة الباري ™، فيوقن الإنسان أنه لا مفر من الله ﷻ إلا إليه(٢).

–تجديد لبنية الرسالة الإسلامية، ولغة جديدة لزيادة الإيمان باللهﷻ، ومدخلاً قوياً للدعوة إلى الله ﷻ ؛ لأن تزايد العلم بصدق الإسلام كفيل بإظهار إعجاز القرآن والسنة، وإثبات لاستمرارية الإسلام وبيان أنه الحق المنزل من السماء.

–فيه دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم، والسنة الشريفة، سند للعقل والعلم في زمن كثُر فيه افتتان الناس بالعلوم الحديثة.

---

(١) نقلاً عن: موقع الإسلام سؤال وجواب: مقال بعنوان: الخلايا الجذعية، تعريفها، وحكم إنشاء بنوك لها.
(٢) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٨).

–توثيق الرابطة بين الله ﷻ، وبين عباده المخلصين، وتقوية أواصر الإيمان، وتحقيق أسمى معاني الخضوع والعبودية

–ضبط العلم الإنساني بالضوابط الأخلاقية والسلوكية، التي تجعل الصورة متكاملة، فلا يطغى جانب على آخر، بل الإيمان من شأنه تطور العلوم الإنسانية والتطبيقية، وحماية مناهج التعليم من التحلل من القيم الدينية والأخلاقية، فالإيمان بالله ﷻ يحمى البشرية من بعض نتائجه المدمرة.

–تصحيح مسار العلم التجريبي والتطبيقي في العصر الحديث، ووضع صياغة إسلامية للبحوث والمعرف الحديثة التي انطلقت من منطلقات مادية لا تؤمن بالغيب، وتصحيح ما شاع من أفكار باطلة حول الكون والإنسان والوجود.

–إزالة الجفوة المفتعلة بين العلم والإيمان، وبيان أن العلم وتقنياته الصحيحة مذللاً لخدمة الإسلام والمسلمين.

–تشجيع المسلمين للبحث في العلم التطبيقي، وإثارة عقولهم للتفكير الإبداعي؛ من خلال العلوم الحديثة، والاكتشافات التي تحدث عنها القرآن الكريم والسنة المطهرة منذ خمسة عشر قرناً! (١).

–تحرير العقل البشري من الجهل والخرافات، وسائر الضلالات كعبادة الأصنام، والعمل بالسحر، والشعوذة، والكهانة، فمنح الإسلام حق التفكير وفق الضوابط المشروعة، ليتحرر من أسر الجهل والضلال (٢).

ثانياً: الآثار السلبية في فصل الإيمان عن العلوم التطبيقية.

–التفسير العلمي إذا لم تُراعَ ضوابطه وشروطه يكون سبباً في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله وسنة رسوله، وكثير من الباحثين في العصر الحديث، حاولوا الربط بين

(١) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٨-١٩).
(٢) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص١٣٩-١٤٠).

الوحي الالهي وبين فروض ونظريات خاطئة؛ فانحرفوا عن طريق الحق والصواب، عندما توهموا التناقض.

-ينبغي التفريق بين التفسير العلمي، وبين الإعجاز العلمي، فالإعجاز العلمي هو: " إخبار القرآن الكريم أو إشارة السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي أو زمن الصحابة "، أما التفسير: فهو يتناول النظريات والإشارات الضمنية، دون التوفيق بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية(١).

-ثبت بالضرورة أن العلم البشري لا يمكن أن يستغنى عن الإيمان؛ لأن الناس لا يخالفون أهواءهم وشهواتهم الشخصية إلى اتّباع آراء أفراد منهم، وإنما يدينون بوازع الفطرة أن هناك قوى عظمى فوق معارفهم البشرية، فمن حادَ عن طريق الحق وقع فريسة لشهواته، وتخبط في حياته (٢).

-انتشار الانحلال الخلقي؛ كالسرقة والغشّ وغيرها، لأنه لا يمكن للإنسان أن يفصل العلم عن الدين، لأن الدين هو الذي دلّ على العلم، وحرر العقل البشري من الجهل والخرافات، فإذا فُصل العلم عن الدين، أصبح العلم بلا ضوابط دينية أو خُلقية، ويتحول العالم البشري إلى عالم جشع لا يهمه سوى تحقيق أهداف علمية مجردة من الضمير الإنساني، فتجار زراعة الأعضاء مثلاً لا يهمهم مصدر التجارة، لذا كثُرت حالات خطف الأطفال، وسرقة الأعضاء من الدول الفقيرة.

-تضييع الهدف النبيل، والغاية العظيمة، في تحقيق الغاية الحقيقة للوجود الإنساني وهي: الوصول إلى رضا الله ﷻ ورضوانه، فإذا فصل المسلم بين دينه وعلمه الدنيوي تخبّط في الحياة، فمن لم يكن عبداً لله ﷻ ؛أصبح أسيراً للشهوات والرغبات، وأسرف

---

(١) انظر: الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة(ص٢٧).
(٢) انظر: الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا. صفحة (٢٦٢-٢٦٣).

في تحقيق أسباب النجاح في الدنيا فقط، دون استشعار لأهمية اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب.

-المؤمن بالله ﷻ يواجه التحديات والعقبات بالطرق المشرعة، بلا ضرر ولا ضرار، ويحاول أن يُمهد الطرق الوعرة بنور الإيمان، أما غيره فقد يتحلل من كل صفات الإنسانية لتحقيق رغبته في النجاح والوصول لهدفه، أما الإسلام فقد كفل للمسلمين الحرية المنضبطة بالصبغة الربانية، التي لا تظلم أحد على حساب الآخر وإن كان الظالم مسلم والمظلوم غير مسلم.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات.

لم يكن الدين الرباني مخالفاً للسنن الكونية والشرعية لبني آدم؛ لأن الله تعالى أنزل هذا الدين لصلاح البشرية، وتحقيق الأمن والاستقرار الديني والكوني، وقد توصلت بعد الانتهاء من هذا البحث إلى عدة نتائج، وهي:

-الإيمان بالله ﷻ: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولفظ الإيمان يقتضي: الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

-العلم التطبيقي هو: العلم الذي يهتم بتطبيق قوانين العلوم النظرية، لبلوغ غايات عملية، كعلم الطب، والفلك، والحساب، والكيمياء.

-اهتمام القرآن الكريم والسنة المطهرة بتقدير العلم، والرفع من مكانة العلماء، وبيان أن القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع، ولا يصح تحميل النصوص الشرعية، دلالات علمية ونظرية، بما لا يحتمله النص الشرعي.

-أن العلاقة بين الإيمان والعلم التطبيقي علاقة طردية؛ فكلما زاد العلم البشري التطبيقي، زاد الإيمان في القلب، والعكس صحيح، وهذا ما دّل عليه الواقع، حيث أسلم كثير من العلماء بعد اكتشافهم صدق الرسالة بالبراهين العلمية الصحيحة.

-علماء المنهج التجريبي من أكثر العلماء تأثراً بالإشارات العلمية، في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ لأن المنهجية التجريبية توجه العقول للحق، بالشواهد الحسية.

-تأثُر علماء المنهج التطبيقي من المسلمين بالإيمان، في تحديد الضوابط الدينية والأخلاقية للعالِم، والتي أوجدت فارقاً كبيراً بين العلماء المسلمين وغيرهم، حيث ميّز الإسلام علماء المناهج التطبيقية، بالتحلي بمكارم الأخلاق، والنزاهة عند ممارسة العلوم التطبيقية، فالمسلم يلتزم بدينه، ويتسلح بالعلم، ويتحلى بمكارم الأخلاق، بخلاف غير المسلم الذي أغرق في الجانب المادي المجرد، وأهمل كثيراً من الجوانب الدينية والإنسانية.

-من الآثار الإيجابية في ارتقاء الإيمان بالعلوم التطبيقية، عدة أمور منها: أن فيه دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم والسنة المطهرة سندٌ قويٌ للعقل والعلم، في زمن كثُر فيه الكفر والإلحاد، وفيه أيضاً ضبط للعلم الإنساني، بالضوابط الدينية والخلقية، وأيضاً يُزيل الجفوة المفتعلة بين العلم والإيمان، ويحرّر العقل الإنساني من الجهل والخرافات.

-من الآثار السلبية في فصل الإيمان على العلوم التطبيقية، أن التفسير العلمي إذا لم يراع الضوابط؛ كان سبباً في وقوع الخطأ في فهم كتـــاب الله ﷻ وسنة رسولهﷺ،

-ومن الآثار السلبية: انتشار الانحلال الخُلقي، وتضييع للهدف النبيل، الذي وُضع من أجله العلم؛ وهو الوصول الى رضى الله ورضوانه، فمن لم يكن عبداً لله ﷻ؛ صار عبداً لغيره من الشهوات والرغبات، كما أن المؤمن بالله ﷻيواجه التحديات، والعقبات، بالطرق المشروعة، بخلاف غيره الذي قد يُهلك نفسه، وغيره، في سبيل تحقيق أهدافه وغاياته.

قائمة المراجع:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف القرطبي المحقق: علي محمد البجاوي. [ط١]. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ
- الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق: كارم السيد غنيم. [ط١]. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض
[ط١]. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ
- أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين: محمد حسين محاسنة. [ط١]. العين: دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٠م.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية: د.نادي درويش محمد.[ط١]. القاهرة: مكتبة الإيمان، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم: الدكتور سليمان عمر قوش. [ط١]. الدوحة: دار الحرمين، مكتبة المهتدين، ١٤٠٧هـ.
- الإيمان: أحمد بن تيمية، المحقق: محمد الألباني، [ط٥]. الأردن: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: محمد بن الذهبي. المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف. [ط١]. [د.م]: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م.
- تفسير القرطبي: أبو عبد الله القرطبي. المتوفى: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. [ط٢]. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ). تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. [ط١]. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم: عبد الوهاب محمود حنايشه. إشراف: خالد خليل علون. [د.ط]. فلسطين: رسالة ماجستير بكلية أصول الدين. جامعة النجاح الوطني.

- الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل: عبد الحليم عويس. [ط١]. [د.م]: دار الصحوة للنشر والتوزيع.
- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل: علي نايف الشحود. [د.ط]. [د.م] ، ٢٠٢٠م.
- الرد على الشاذلي في حزبيه: أحمد بن تيمية، المحقق: علي العمران. [ط٣]. الرياض: دار عطاءات العلم، ١٤٤٠هـ
- الضوابط الشرعية لقضايا الاعجاز العلمي في القرآن والسنة: راشد سعيد شهوان [د.ط]. عمّان: دار المأمون للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٣٤هـ .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: أحمد ابن أبي أصيبعة. المحقق: الدكتور نزار رضا. [د.ط]. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- فتاوى الشبكة الإسلامية: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية
- http://www.islamweb.net
- مجموع الفتاوى: أحمد بن تيمية. المحقق: عبد الرحمن بن قاسم وابنه. [د.ط]. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
- المعجم الفلسفي: جميل صليبا. [د.ط]. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث مصر أنموذجاً: أحمد قوشتي عبد الرحيم. [ط٢]. المملكة العربية السعودية: دار تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٣٩هـ.
- المؤتمر العلمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: مصطفى إبراهيم حسن. www.eajaz.com.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره: أبو محمد مكي بن أبي طالب المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. [ط١]. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ .
- الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا. [ط١]. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ.